بقلم
رئيس التحرير

د.ق.أندريه زكي
رئيسُ الطائفةِ الإنجيليَّةِ بمِصْر
رئيسُ الهيئةِ القبطيَّةِ الإنجيليَّةِ للخدماتِ الاجتماعيَّةِ

رجاء أقوى من الموت

أهنئكم جميعًا، القراء الأعزاء، بعيد القيامة المجيد، الذي نحتفل فيه بقيامة السيد المسيح من الموت بعد صلبه بثلاثة أيام. ولكن دعوني أسألكم: هل من معنى للعيد وسط كل ما يحدث في العالم؟ نحن نحتفل بالعيد وسط أجواء مبهجة، ولكن الأحداث التي أدى لها فيروس كورونا تصيبنا بالإحباط. فما القيمة والجدوى من الاحتفال بالعيد؟

للعام الثاني على التوالي نحتفل بعيد القيامة وسط الإجراءات الاحترازية التي تهدف لتحجيم فيروس كورونا الذي انتشر بشراسة في العالم كله. شهدنا العام الماضي موجتين للفيروس أدَّيَتا إلى نتائج كارثية، ليس في مصر والعالم العربي فقط بل في كل بلدان العالم. وهذا العام نشهد الموجة الثالثة التي تعتبر أشرس وأقوى موجة لكورونا حتى الآن، سواء من ناحية سرعة انتشارها أو من ناحية تأثيراتها المرضية على جميع الفئات العمرية.

رأينا جميعًا من حولنا كيف فقدت أسر كثيرة أحباء لها. بل وتزايدت أعداد الحالات الحرجة في مستشفيات العزل وحتى بداخل البيوت.

ودعوني أركز على هذه النقطة لأن اقتصاديات العالم كلها تزعزعت بسبب فيروس كورونا. أسواق العمل العالمية أصابها الركود الاقتصادي وحركة التجارة العالمية توقفت. كل هذا الانهيار بسبب إغلاق الحدود وتوقف حركة الطيران والإجراءات الشديدة التي اتخذتها أغلب الدول. كما أن آثار التباعد الاجتماعي والعزل المنزلي السلبية عديدة، والتي أدت لتزايد أعداد حالات نفسية كثيرة، وتصاعد موجة العنف المنزلي، وإغلاق أماكن العبادة، وتأثر العملية التعليمية على مستويات التعليم الأساسي والجامعي.

لقد أصبح الخوف من الغد المجهول هو السمة الأساسية لحياة الكثيرين، سواء من يخافون من تهديد حياتهم بسبب الإصابة بكورونا، أو الخوف من فقدان العمل أو الخوف من فقدان أحباء قريبين. باختصار، أصبح الخوف من المستقبل المجهول هو سيد الموقف.

وسط هذا الوباء المدمر، يجاهد الإنسان في كل مكان ضد الفيروس لكي تستمر الحياة. ولقد رأينا جميعًا جهود وزارة الصحة المصرية في نشر الوعي الصحي بين المصريين للحد من انتشار الجائحة، والكفاءة العالية التي استقبلت بها المصابين وتجهيز مستشفيات العزل في كل محافظات مصر. كما رأينا كيف أن العلماء اتحدوا معًا حول العالم لتطوير اللقاحات المضادة لفيروس كورونا، وأصبح هناك اليوم بارقة أمل وسط كل الإحباط الذي يحيط بنا بسبب الموت والمرض والخوف.

ولقد وجدت في حالة تلميذي عمواس الذين التقى بهما السيد المسيح بعد قيامته رسالة قوية لنا اليوم. إنها حالة تلميذين من تلاميذ السيد المسيح، كان لديهم آمال كبيرة في السيد المسيح، وفجأة، وجدوا أنفسهم مشتتين، تائهين، متخبطين في العالم، لا يعرفون إلى أين يتجهون بحياتهم. يقول لوقا البشير وهو يعرض حالة التلميذين: «وَإِذَا اثْنَانِ مِنْهُمْ كَانَا مُنْطَلِقَيْنِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ إِلَى قَرْيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ أُورُشَلِيمَ سِتِّينَ غَلْوَةً، اسْمُهَا «عِمْوَاسُ»» (لو ٢٤: ١٣). فعمواس هي قرية صغيرة تقع على مسافة ما يوازي ١١ كم من العاصمة أورشليم - القدس (الغلوة وحدة

قياس تساوي ١٨٧ مترًا). لذا، دعوني أقدم لكم هنا تحليلًا دراسيًّا لحالة تلميذي عمواس كما يعرضها لوقا البشير.

أولاً، إن التلميذين عائدان إلى بلدتهما الصغيرة: فبعدما عاشا مع السيد المسيح لسنوات، وقضيا كل أوقاتهما معه، فجأة انهار كل شيء بالنسبة لهم. فجأة وجدوا أنفسهم ضائعين، تائهين، لا يعرفون إلى أين يذهبون. أدعوكم أن تحاولوا تخيل حالتهما وهما عائدين منهزمين إلى بلدتهما الصغيرة.

ثانيًا، يذكر لوقا أنهما «كَانَا يَتَكَلَّمَانِ بَعْضُهُمَا مَعَ بَعْضٍ عَنْ جَمِيعِ هذِهِ الْحَوَادِثِ» (لو ٢٤: ١٤). كان هذا الحوار بين التلميذين حوارًا ساخنًا، وربما تحاورا بشأن الأمل الذي حطمه موت السيد المسيح غير المُتوقَّع. كانا يتحاكيان بما حدث وما يحدث لأنه لا يوجد بيديهما أي شيء يفعلانه غير الحوار، لعلهما يقدران أن يعزيا بعضهما البعض. بل إن أحد التلاميذ قال: «وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ» (لو ٢٤: ٢١). إنه يقولها صريحةً: وضع هذا التلميذ رجاءه في السيد المسيح، ومرة واحدة: مات المسيح! مات بطله الذي عاش لأجل قضيته! ليس هذا فقط، بل التلميذ يلمح إلى أن وعود السيد المسيح بأنه سيقوم ثانيةً بعد ثلاثة أيام لم تتحقق، إذ يقول: «وَلكِنْ، مَعَ هذَا كُلِّهِ، الْيَوْمَ لَهُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ مُنْذُ حَدَثَ ذلِكَ» (لو ٢٤: ٢١). وكأن التلميذ يقول بأنه ها قد جاء اليوم الثالث ولم يتحقق الوعد. باختصار، كان الموت أقوى من الرجاء في عيون تلميذي عمواس.

ثالثًا، وصل الأمر مع تلميذي عمواس إلى حد أن السيد المسيح بنفسه ظهر إليهما بينما لم يستطيعا أن يرياه: «وَفِيمَا هُمَا يَتَكَلَّمَانِ وَيَتَحَاوَرَانِ، اقْتَرَبَ إِلَيْهِمَا يَسُوعُ نَفْسُهُ وَكَانَ يَمْشِي مَعَهُمَا. وَلكِنْ أُمْسِكَتْ أَعْيُنُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ.» (لو ٢٤: ١٥ - ١٦). كان السيد المسيح بنفسه بجوارهم، بل كان يمشي معهما وإلى جوارهما في رحلة الرجوع للصفر وهما لم يدركا ذلك! تُرى، كم منَّا اليوم فقد الأمل، ويرى أن الظروف قهرته، لدرجة أنه لا يستطيع أن يرى آثار وخطوات السيد المسيح إلى جواره مرةً ثانيةً؟

الغريب، والمثير للدهشة في مثال تلميذي عمواس، هو أنهما استمعا لرواية القيامة بدل المرة مرتين. فبحسب رواية النساء الشاهدات على القيامة: «بَلْ بَعْضُ النِّسَاءِ مِنَّا حَيَّرْنَنَا إِذْ كُنَّ بَاكِرًا عِنْدَ الْقَبْرِ، وَلَمَّا لَمْ يَجِدْنَ جَسَدَهُ أَتَيْنَ قَائِلاَتٍ: إِنَّهُنَّ رَأَيْنَ مَنْظَرَ مَلاَئِكَةٍ قَالُوا إِنَّهُ حَيٌّ.» (لو ٢٤: ٢٢ - ٢٣). أي أن تلميذي عمواس استمعا لرواية التلميذات النساء، والغريب أنهما لم يصدقا أن السيد المسيح حقق وعده، بل ازدادا في حيرتهما أكثر! كذلك استمع كلا التلميذين إلى رواية بقية التلاميذ الرجال الذين لم يجدوا جسد السيد المسيح في القبر: «وَمَضَى قَوْمٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَنَا إِلَى الْقَبْرِ، فَوَجَدُوا هكَذَا كَمَا قَالَتْ أَيْضًا النِّسَاءُ، وَأَمَّا هُوَ فَلَمْ يَرَوْهُ» (لو ٢٤: ٢٤). أي أن هذه شهادة ثانية أن السيد المسيح لم يكن في القبر! ومع ذلك، لم يصدق هذان التلميذين أن السيد المسيح قام من الموت. رغم الدلائل التي تشير إلى أن رجاء القيامة انتصر على الموت، استسلم تلميذا عمواس لحالة الحزن والكآبة. لقد سمح هذان التلميذان للموت أن يميت الرجاء الذي لا يموت حقًّا!

حينما ظهر السيد المسيح للتلميذين، لم يعرفاه، وسألهما سؤالاً عاديًّا للغاية: «مَا هذَا الْكَلاَمُ الَّذِي تَتَطَارَحَانِ بِهِ وَأَنْتُمَا مَاشِيَانِ عَابِسَيْنِ؟» (لو ٢٤: ١٧). كان سؤال السيد المسيح بسيطًا حول الموضوع الذي يتحدثان بشأنه أثناء رحلتهما. ولكن رد كليوباس أحد تلميذي عمواس يظهر شعورهما العميق باغتراب المسيح عنهما: «هَلْ أَنْتَ مُتَغَرِّبٌ وَحْدَكَ فِي أُورُشَلِيمَ وَلَمْ تَعْلَمِ الأُمُورَ الَّتِي حَدَثَتْ فِيهَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ؟» (لو ٢٤: ١٨). وكأنه يقول للسيد المسيح هل أنت آخر من يعلم ما الذي حدث؟ هل أنت الوحيد «الغريب» في هذا العالم؟ ظن تلميذي عمواس بذلك أن السيد المسيح هو أحد الحُجّاج القادمين إلى مدينة أورشليم - القدس لكي يحتفل بعيد الفصح مع عموم الشعب، ولهذا لم يعرف ما جرى في المدينة المقدسة. لا يدرك كليوباس وهو يقول هذه الكلمات أنه يكلم الشخص ذاته الذي حدثت هذه الأحداث له...

لكن السؤال الحقيقي هو: هل يفهم التلاميذ كلمات الرجاء حقًّا؟ رد عليهما السيد المسيح له المجد قائلًا: «أَيُّهَا الْغَبِيَّانِ وَالْبَطِيئَا الْقُلُوبِ

فِي الإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ!» (لو ٢٤: ٢٥). وكأنه يقول لهما، لا، المشكلة ليست في أنني لا أعرف ما حدث. بل ربما أنا أكثر شخص يعرف ما حدث بالتفصيل، أعرف ذلك وآثار الأحداث مازالت باقية على جسدي. كأن السيد المسيح يقول لهم: «السؤال الحقيقي هو: هل تفهمون أنتم حقًّا؟»

لكن وبالرغم من أن تلميذي عمواس لم يدركا أن الذي يخاطبهما هو السيد المسيح القائم من الموت، إلا أن السيد المسيح كان معهما طوال الرحلة. إنه حي، بجانب تلاميذه، يشجعهم وقت الشدة، ومازال مستمرًّا في تعليمهم وتشكيل قلوبهم وأذهانهم. لقد تظاهر السيد المسيح بأنه سيرحل ويبتعد عن التلميذين، تظاهر أنه ذاهبٌ في طريق آخر لئلا يفرض نفسه عليهم. ولكن يقول البشير لوقا إنهما حينما طلباه أن يمكث معهما، لبى النداء في الحال وتوجه معهما لمنزلهما (لو ٢٤: ٢٨ - ٢٩). لا يتأخر السيد المسيح عن تلميذه المحتاج إليه، فقط إذا استطاع التلميذ أن يرفع عينيه ليرى السيد المسيح القائم من الموت.

لقد استمر السيد المسيح يشرح للتلميذين كيف أن الرجاء حقيقي وأنه أقوى من الموت من خلال أسفار العهد القديم (لو ٢٤: ٢٧). هذا هو الملجأ الأول الذي ذهب له السيد المسيح ليشرح التعليم الصحيح والحقيقي لكي لا يفقد التلاميذ رجاءهم الحقيقي. بالنسبة للسيد المسيح، تبقى كلمة اللّه هي الأساس الصلب الذي عليه يقوم الرجاء الحقيقي القادر أن يقف في مواجهة العواصف والصعاب.

ثم أن السيد المسيح أعلن عن نفسه في الوقت المناسب، حينما كسر الخبز مع التلاميذ. ويستخدم لوقا نفس الكلمات التي استخدمها السيد المسيح أثناء تأسيس سر الشكر (كسر الخبز) الذي نحتفل به يوم خميس العهد: «أخذ خبزًا.. بارك.. كسر.. ناول» (لو ٢٤: ٣٠). يكتب لوقا هذه الأفعال وهو يعرف كيف أن الكنيسة المسيحية تكسر الخبز في وقت العبادة الأسبوعي. وما يريد أن يقوله لوقا هو أن السيد المسيح حاضر وسط شعبه العابد له. قصة تلميذي عمواس بأكملها تجسد عبادة

الكنيسة: قراءة الكتب المقدسة، شرح ووعظ يدور حول السيد المسيح، ثم التناول من مائدة الرب، وهكذا يُستعلن المسيحُ للمؤمنين العابدين. ببساطة: السيد المسيح حاضر في قلب التلميذ العابد. وما تقوله لنا قصة تلميذي عمواس هي أنه حتى حينما لا يستطيع التلميذ أن يعبد، فإن السيد المسيح يزوره ليقويه ويشدده ليعبد مرةً أخرى.

ونصل للحظة الذروة في القصة حينما أعلن السيد المسيح عن حضوره للتلاميذ في مدينة عمواس، فتركوا البلدة في الحال وعادوا للعاصمة أورشليم - القدس وهم يشاركون رفقاءهم التلاميذ بكلمة واحدة فقط: «إِنَّ الرَّبَّ قَامَ بِالْحَقِيقَةِ» (لو ٢٤: ٣٤). لقد استردوا رجاءهم الأقوى من الموت.

إن تلميذي عمواس هما نموذج ملهم لنا اليوم وسط التحديات العاصفة التي سبَّبها فيروس كورونا؛ فالسيد المسيح بجوارنا في اللحظة الراهنة، حتى وإن كنّا لا نراه، وهذا هو معنى احتفالنا بالعيد، فحتى لو كانت الظروف تحني رؤوسنا، فلا تستطيع عيوننا أن تراه وسط الأزمة، لكن السيد المسيح حاضرٌ معنا، بل إنه يسير إلى جوارنا في كل تحديات اللحظة الراهنة. فمسيرة السيد المسيح مع تلميذي عمواس تشبه مسيرته مع كل المؤمنين: في البداية لا يعرفانه، وقد لا يفهمانه، غير أنهما سيدركانه إذا انفتحت أعينُهما. وكيف تنفتح أعينهما؟ من خلال الرجاء الحقيقي المبني على كلمة الله. وسط صعوبات الحياة دعونا نجري إلى كلمة الله، فنجد فيها قوة ودعمًا وسط اضطرابات الحياة. وأذكركم بما قاله النبي إشعياء للشعب قديمًا: «إِلَى الشَّرِيعَةِ وَإِلَى الشَّهَادَةِ. إِنْ لَمْ يَقُولُوا مِثْلَ هذَا الْقَوْلِ فَلَيْسَ لَهُمْ فَجْرٌ!» (إش ٨: ٢٠). نعم، لن يكون هناك فجر جديد، ولا أمل جديد، إن لم يكن الكتاب المقدس مركزيًّا في حياتنا وعبادتنا المسيحية كل يوم. ليكن هذا شعارنا: حينما يتكلم الكتاب المقدس فإن الله يتكلم. لم يُحسِن تلميذي عمواس الاستماع لكلمة الله، فهل نحسن نحن الانتباه والاستماع لها اليوم؟

كما أن السيد المسيح يعلن عن حضوره لنا في الوقت المناسب. وهنا

نتذكر قول النبي حبقوق حينما كان وسط الأزمات قال لشعبه: «لأَنَّ الرُّؤْيَا بَعْدُ إِلَى الْمِيعَادِ، وَفِي النِّهَايَةِ تَتَكَلَّمُ وَلاَ تَكْذِبُ. إِنْ تَوَانَتْ فَانْتَظِرْهَا لأَنَّهَا سَتَأْتِي إِتْيَانًا وَلاَ تَتَأَخَّرُ.» (حب ٢: ٣). فحتى لو أننا شعرنا بأن حضور السيد المسيح تأخر، ولو ظننا بأن حضوره لم يظهر لنا بعد، فلنثق أنه سيأتي إتيانًا إلينا ولا يتأخر. فلنثق أنه لا يكذب في وعوده.

كما أن قصة تلميذي عمواس تعلمنا أن الرجاء يُولد في رحم العبادة. يجب أن نستمر في عبادتنا، ولا نطرح ثقتنا، خصوصًا في أوقات الأزمة. لأن الرجاء يُولد في رحم العبادة. كما استمرت الكنيسة المسيحية الأولى التي كتب لها لوقا، وهكذا استردت ثقتها وسط الأزمة. حتى وسط أزمات كورونا، وكل ما تسبب فيه الوباء، يمكننا أن نظل عابدين وسوف تلتهب قلوبنا بحضور الله وسط عبادتنا. وحتى إن لم تقوَ قلوبنا على العبادة، فلنثق أن السيد المسيح يسرع إلينا حينما يرى أن إيماننا يصارع على كافة الجبهات...

وفي الختام: أدعوك عزيزي القارئ أن تتمسك بالرجاء الحقيقي لأنه أقوى من الموت، ومبني على كلمة الله الثابتة التي لا تتغير. لأن السيد المسيح إلى جوارنا، حتى إن عجزت عيوننا عن رؤيته...

إخوتي: لا تطرحوا ثقتكم.

آمين.